

## دور الفقهاء والعلماء في شؤون الدولة السياسية والاقتصادية والاجتماعية

"مدينة فاس نموذجًا" 448-541هـ/1056-1146م

د. فتحية محمد الودان

كلية الآداب - جامعة مصراتة

## المقدمة

حفلت مدينة فاس في عصر المرابطين بعدد كبير من رجال العلم والدين من الفقهاء والعلماء والقضاة، حيث قامت الدولة المرابطية على أساس ديني ودعوة إصلاحية اتسمت بمسحة دينية واضحة جعلت للفكر الديني وأهله مكانة متميزة في قلوب الخاصة والعامة في الدولة، وتمتع القائمون على شعون الدين بمكانة عالية مميزة، فمنذ بداية الدولة ظهر للعلماء نفوذ في مجريات الأمور حيث تحالف الفقهاء المالكية مع المرابطين منذ قيام دولتهم.

لم يتوان الفقهاء والعلماء في القيام بأي عمل يخدم المجتمع الفاسي سواء أكان ذلك في المجال الديني أو الفكري أو السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي، فهو في واقعه وفي مفهوم الفقهاء من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما وسائل الفقهاء في التعبير عن هذا المبدأ فهي كثيرة ومتعددة، مثل التأليف والتدريس والخطبة والنصيحة وحتى الفتوى، وفي حالات أخرى المساندة والمؤازرة المادية والمعنوية، مما يبرز دورهم الإيجابي مع الدولة الحاكمة من ناحية، ومع عامة الناس من ناحية أخرى من خلال التزامهم العملي بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن خلال الحرص الشديد على المصالح العامة لأبناء المجتمع الفاسي، ومن هنا تبرز أهمية اختيار الموضوع وضرورة دراسته.

التمهيد:

سيطر المرابطون على مدينة فاس سنة 462هـ/1069م واستطاعوا خلال مدة قصيرة أن يحققوا لها استقرارًا سياسيًا وتنظيمًا إداريًا، ترتب عليه، توسعات عمرانية مختلفة، فلم يكد الأمير يوسف ابن تاشفين (453-500هـ/1061-1106م) يستقر بمدينة فاس سنة 462هـ/1069م حتى

أدرك الوضعية المتناقضة للمدينتين المتلاصقتين (القرويين والأندلسيين) <sup>(1)</sup>، ويبدو أنه أدرك شعور سكان العدوتين بالضيق فاستجاب لهم <sup>(2)</sup>، وأمر بهدم الأسوار التي كانت تفصل بين العدوتين وربطهما بعدة قناطر، وصيرهما مدينة واحدة <sup>(3)</sup>.

أدار الأمير يوسف الأسوار وجعلها سورًا واحدًا، وهدم الأسوار القديمة وجددها <sup>(4)</sup>، وأصلح الأسوار التي تهدمت في فترة الاضطرابات قبيل سيطرتهم عليها، كما سدت ثلثات السور وزيد فيه أبراج، وبنى سور يحيط بالمقابر <sup>(5)</sup>.

اهتم يوسف بن تاشفين بزيادة المساجد بفاس وسقاياتها وحماماتها وفنادقها وخاناتها وإصلاح أسوارها <sup>(6)</sup>، وتوعد أهل كل زقاق بالعقاب إن لم يجد به مسجدًا <sup>(7)</sup>، كما استقدم جملة صناع من قرطبة بنوا بالمدينة الكثير من المساجد <sup>(8)</sup>. وهو يدل على ذوقه الحضاري الرفيع <sup>(9)</sup>.

كان التطور العمراني لمدينة فاس بمثابة خطوة إيجابية في طريق تطور المدينة الفكري، فقد أولاه المرابطون عناية خاصة لكونها إحدى المدن المهمة بالمغرب الأقصى فأصبحت تستقطب العلماء والأدباء الوافدين من المشرق والأندلس <sup>(10)</sup>.

- (1) لوطونو: فاس قبل الحماية (ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1412هـ/1992م) ج1 ص82.
- (2) برونسال: أدب الأندلس وتاريخها (ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1951م) ص106.
- (3) مجهول: رسالة في ذكر من أسس فاس مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب تحت رقم 9732 ميكروفيلم 10988 ورقة 54. ابن أبي زرع: روض القرطاس (تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1420هـ/1999م) ص179. الجزنائي: جنى زهر الأس (تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط3، 1429هـ/2008م) ص41. ابن خلدون: العبر (دار أحياء التراث العربي، بيروت، 1971م) ج6 ص185. محمد عبد الهادي شعيرة: المرابطون وتاريخهم السياسي (مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، 1969م) ص92. عبد الله كنون: يوسف بن تاشفين (مجلة الثقافة المغربية تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، أنفه غاندي، الرباط، الجزء الثامن، 1973م) ص14.
- (4) مجهول: رسالة في ذكر من أسس مدينة فاس، ورقة 54. الجزنائي: المصدر السابق، ص41. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6 ص185. ابن القاضي: جذوة الاقتباس (دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م) ج1 ص49.
- (5) ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما ساف من أخبار الزمان (تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1411هـ/1990م) ص250.
- (6) مجهول: ذكر من أسس مدينة فاس، ورقة 55. الجزنائي: المصدر السابق، ص42. ابن القاضي: المصدر السابق، ج1 ص50.
- (7) السلاوي: الاستقصا (تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1432هـ/2007م) ج1 ص194.
- (8) الجزنائي: المصدر السابق، ص42. ابن القاضي: المصدر السابق، ج1 ص50.
- (9) حامد محمد الخليفة: انتصارات يوسف بن تاشفين (مكتبة الصحابة، الشارقة، د.ت) ص68.
- (10) ابن خلدون: المقدمة (تحقيق: عبد الواحد والي، نضمة مصر، القاهرة، 2010م) ج3 ص929.

ساعد الاستقرار السياسي والتنمية العمرانية اللذان شهدتهما فاس في عصر المرابطين على ازدهار اقتصادها، فعم الرخاء، وازداد الدخل، وانصرف الناس للعمل والإنتاج<sup>(1)</sup>، وقد اهتم المرابطون بالزراعة، وعينوا مشرفاً على الأراضي الزراعية<sup>(2)</sup> يعاونه في عمله ناظر<sup>(3)</sup>، كما عنوا بأنهارها ومياهها الجوفية أيضاً<sup>(4)</sup>، خاصة نهرها المعروف بنهر وادي فاس<sup>(5)</sup>، لذلك اشتهرت فاس بمحاصيل زراعية لا توجد في غيرها من المدن القريبة أو البعيدة<sup>(6)</sup>، فازدهرت أشجارها، وطابت ثمارها، وأخصبت زروعها<sup>(7)</sup> حتى أنها كانت تكفي المدينة كلها<sup>(8)</sup>.

إلى جانب النشاط الزراعي اهتم المرابطون بالنشاط الصناعي، الذي ساعد على ازدهار الحياة الاقتصادية، فعرفت في فاس الصناعات الحربية ومواد المعمار وأدواته فضلاً عما احتاجه الترف الذي انتشر في أواخر أيام المرابطين من متطلبات<sup>(9)</sup>، وتميزت فاس بصناعة المنسوجات والملابس، وكان لتوفر

(1) ابن عذاري: البيان المغرب (تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983م) ج4 ص124. حسن علي حسن:

الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م) ص182.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب "قسم الموحدين" (تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1406هـ/1985م) ص24.

(3) ابن القاضي: المصدر السابق، ج2 ص391-392.

(4) عبد القادر زمامة: وثيقة حضارية عن شبكة توزيع المياه في فاس القديمة (مجلة البحث العلمي، العدد31، أكتوبر 1980م) ص141. وللمزيد عن موضوع الري في فاس.

انظر: القلقشندي: صبح الأعشى (تحقيق: نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م) ج5 ص151. الإدريسي: نزهة المشتاق (مطبعة بريل، ليدن، 1866م) ص242. مجهول: الحلل المشوية (تحقيق: د. سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدرا البيضاء، 1979م) ص180. الحميري: الروض المعطار (تحقيق: إحسان عباس، مطابع هيدليغ، بيروت، ط2، 1984م) ص434. عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب (دار الشروق، القاهرة، ط1، 1403هـ/1993م) ص62. عفيفي محمود إبراهيم: الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب (دار المعارف، مصر، 1998م) ص155.

(5) الإدريسي: المصدر السابق، ص242. مجهول: الاستبصار (تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، 1958م) ص180.

(6) ابن حوقل: صورة الأرض (دار صادر، بيروت، ط2، 1983م) ص90-91.

(7) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص43. القلقشندي: المصدر السابق، ج5 ص148. ابن القاضي: المصدر السابق، ج1 ص45.

(8) مارمول: إفريقيًا (ترجمة: محمد حججي وآخرون، مكتبة المعارف، الرباط، 1408-1409هـ/1988-1989م) ج2 ص180-ج2 ص180-181.

(9) عز الدين موسى: المصدر السابق، ص209.

الكتان أثره في ازدهار هذه الصناعة<sup>(1)</sup>، وكان بالمدينة مائة وإحدى وأربعون داراً خاصة بالغزل<sup>(2)</sup>، وتنوعت الملابس فكان منها الكتاني والقطن والحريز<sup>(3)</sup>، وعرفت فاس كذلك بفن صباغة الأقمشة التي ارتبطت بصناعة النسيج ارتباطاً وثيقاً<sup>(4)</sup>، كذلك ازدهرت صناعة الورق، وبلغت شأواً عظيماً<sup>(5)</sup>، كما عرفت فاس الصناعات الخشبية<sup>(6)</sup>، التي استخدمت لعمارة المساجد وبناء القصور والبيوت<sup>(7)</sup>، بالإضافة إلى صناعة المعادن<sup>(8)</sup> كالفضة والحديد والنحاس، ومنها كان يحمل النحاس الأصفر إلى جميع الآفاق<sup>(9)</sup>، وقد اتخذ المرابطون منها مقرّاً لسك العملة، فكان فيها داران للسكة، واحدة بكل عدوة<sup>(10)</sup>.

- (1) الحسن الوزان: وصف أفريقيا (ترجمة: عبد الرحمن حميدة، الرياض، 1978-1979م) ص171.
  - (2) السيوطي: كتاب في نسب بعض الصحابة والاشراف الادريسين وغيرهم من ملوك لمتونة والموحدين. (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 2024) ورقة 30.
  - (3) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا (تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1970م) ص140. الحسن الوزان: المصدر السابق، ص184.
  - (4) ياقوت: معجم البلدان (تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـم1990م) ج4 ص261. عبد العزيز العلوي: صناعة النسيج في المغرب في العصر الوسيط (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، العدد الثاني، 1985-1986م) ص49.
  - (5) حسن علي حسن: المصدر السابق، ص263.
  - (6) الجزنائي: المصدر السابق، ص35. الحسن الوزان: المصدر السابق، ص216.
  - (7) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص73-74-75. الجزنائي: المصدر السابق، ص55.
  - (8) مجهول: رسالة في ذكر من أسس مدينة فاس (مخطوط)، ورقة 46. الجزنائي: المصدر السابق، ص35. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص259. محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس (دارالثقافة العربية، بيروت، د.ت) ص99. عبد القادر زمامة: فاس وصناعاتها التقليدية (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، العدد الرابع والخامس، 1980-1981م) ص472.
  - (9) مجهول: الاستبصار، ص181. الحميري: المصدر السابق، ص435.
  - (10) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص52، وللمزيد عن دار السكة.
- انظر: ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة (نشر حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد السادس، العدد1، 2، سنة 1958م) ص111-112، 117. ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص174.

ترتب على ازدهار النشاطين الزراعي والصناعي في فاس نشاط تجاري<sup>(1)</sup>، ساعد عليه أيضاً إلغاء المرابطين للضرائب الفادحة والمكوس على التجارة والمتاجر، "إلا ما أمر الله تعالى به وأوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكاة والأعشار"<sup>(2)</sup>.

ساعد الرخاء الاقتصادي على نشاط حركة البيع والشراء في فاس على تعدد أسواقها<sup>(3)</sup>، واختصت كل سوق بنوع معين من السلع<sup>(4)</sup>.

كانت القوافل التجارية تخرج من فاس متجهة إلى المدن المغربية الأخرى<sup>(5)</sup>، كمدينة سجلماسة ومنطقة السوس الأقصى، ومدينة أغمات وغيرها، فمن "أراد الطريق إلى تلمسان من سجلماسة فالقوافل تسير من تلمسان إلى فاس ومن فاس إلى صفرو إلى تادلة إلى أغمات إلى بني درعة إلى سجلماسة"<sup>(6)</sup>.

تكون المجتمع الفاسي في العصر المرابطي من عناصر مختلفة: البربر من المصامدة والعرب إلى جانب العناصر الأخرى من العبيد وأهل الذمة<sup>(7)</sup>.

من التطورات التي لحقت التركيب السكاني في المجتمع الفاسي إبان عصر المرابطين زيادة عدد البربر، فبمجرد أن استقرت أوضاع الدولة بدأ تدفق هجرات البربر من قبائل صنهاجة، واستقرت هذه القبائل في فاس، وصارت لهم أماكن تعرف بهم<sup>(8)</sup>، كما وصل إلى مدينة فاس عدد من اللمتونيين<sup>(9)</sup>.

(1) حسن قرنفل: أهل فاس المال والسياسة (دار أبي رقرق، الرباط، ط1، 2007م) ص56.

(2) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص173، 210.

(3) عفيفي محمد إبراهيم: المصدر السابق، ص191.

(4) مجهول: قصة المهاجرين المسمين بالبلدين (مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، د ك 111/1، ضمن مجموعة مخطوطات) ورقة 468-469.

(5) حسن علي حسن: المصدر السابق، ص27. عفيفي محمد إبراهيم: المرجع السابق، ص199-200.

(6) الإدريسي: المصدر السابق، ص249.

(7) عبد السلام بن سودة: بيوتات فاس في القديم والحديث (مجلة البحث العلمي، العدد22، سنة1974م) ص111.

(8) الإدريسي المصدر السابق، ص242.

(9) ابن القاضي: المصدر السابق، ج1 ص173-174.

وفي العصر المرابطي بدأ أيضاً توافد الأسر العربية الأندلسية على المغرب الأقصى، واستوطن معظمها فاس لجودة مناخها وسلامة بيئتها كأسرة بني حنين، وهم من عرب كنانة<sup>(1)</sup>، وبيت بني عشرين عشرين من عرب الخزرج<sup>(2)</sup>.

كان العرب القيسية قد سكنوا فاس منذ أيام الأدارسة واستمر وجودهم فيها حتى عصر المرابطين، وكانت تمتلكهم أسرة السلاجي<sup>(3)</sup>، ومن البيوتات الكنانية بيت بني بكار، ومنهم الفقيه بكار بن عبد الرحمن القيسي (ت405هـ/1014م)، وبيت بني الملجوم الذي أنجب أحد قضاة مكناسة ومراكش في العصر المرابطي<sup>(4)</sup>.

اشتهرت في فاس الكثير من الأسر التي كان لها دورها في النشاط الثقافي داخل المدينة، فمن البربر اشتهرت أسر: المزدغي، والأوربي، والزواوي، والمغليبي، وبني دجانة، وبني حنون، وبني خزر<sup>(5)</sup>، ومن الأسر العربية بيت فاطمة الفهريّة الملقبة ب(أم البنين) مؤسسة جامع القرويين<sup>(6)</sup>، وأسرة بني الملجوم الملجوم الذين اشتهروا بالقضاء في مدينة فاس<sup>(7)</sup>، وغيرها من الأسر، بالإضافة إلى الأسرات الفاسية ذات الأصل الأندلسي كأسرة: الفاسي، وابن سودة، وابن حيون، والسراج الأندلسي، والأشبيلي، والسبتي، والشديد، والشرط، وفارس غلاب، والحراف، واللجاني، والجروندي، والقبا، ومجبر، والمشاط، والرايس، والرامي، والتباع<sup>(8)</sup>. وقد شكل امتزاج العرب بالبربر في العصر المرابطي حلقة مهمة في ثقافة المغرب العربي كله وفي فاس على نحو خاص، مما حدى ببعض المؤرخين للتحدث عن تبرير العرب<sup>(9)</sup> وتغرب البربر<sup>(10)</sup>، ويبدو أن هذا الامتزاج بين العرب والبربر في فاس أصبح أكثر تعقيداً، حتى

- 
- (1) ابن الأحرر: بيوتات فاس الكبرى (دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م) ص39.
- (2) المصدر نفسه، ص19. الفاسي: ذكر بعض مشاهير أهل فاس في القديم (تحقيق: خالد الصقلي، مطبعة أنفو- برانت، فاس، 1428هـ/2007م) ص15.
- (3) ابن الأحرر: المصدر السابق، ص45.
- (4) المصدر نفسه، ص37.
- (5) حسن فرنفل: المصدر السابق، ص17.
- (6) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص68.
- (7) ابن الأحرر: المصدر السابق، ص41. ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة (تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1415هـ/1995م) ج4 ص225. ابن القاضي: المصدر السابق، ج2 ص549.
- (8) حسن فرنفل: المصدر السابق، ص21.
- (9) ابن القاضي: المصدر السابق، ج2 ص549.
- (10) ابن بسام: الذخيرة (تحقيق: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م) مج1 ص59-60.

حتى أن صاحب كتاب بيوتات فاس وجد صعوبة كبيرة في تمييز نسب عدد من البيوتات الشهيرة في فاس.

ساهمت طبيعة التركيب السكاني لأهالي فاس في عصر المرابطين في ازدهار ثقافتها، فامتزاج العناصر التي تكون منها السكان: البربر، والعرب، والأندلسيون، وأهل الذمة، أنتج عنصرًا بشريًا وصفه ابن أبي زرع بأنه: "أحد أهل المغرب أذهانا، وأشدهم فطنة، وأرجحهم عقلاً، وألينهم قلوبًا وأكثرهم صدقة، وأعزهم نفوسًا، وألطفهم شمائل، وأقلهم خلًا على الملوك وأكثرهم طاعة لولا تمم وحكامهم وكيفما تقلبت الأحوال فهم يسمون على أهل بلاد المغرب عملاً وفقهًا ودينًا"<sup>(1)</sup>.

عمل المرابطون على إصلاح أحوال فاس العمرانية والاقتصادية والاجتماعية، مما أوجد نوعًا من التعاون بين كافة طبقات المجتمع المرابطي، فشاع الأمن والطمأنينة في ربوع البلاد<sup>(2)</sup>، وقد عبر ابن أبي زرع عن هذا الرخاء قائلاً: "وكانت أيامهم أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية وأمن"<sup>(3)</sup>. وكما نعلم أن الاستقرار إذا اقترن بالرخاء مكن للحضارة من أن تذكو نبتتها وتنضج ثمارها، حيث ينصرف العلماء إلى أداء رسالتهم السامية في هدوء وطمأنينة<sup>(4)</sup>، وقد قيل إن المرابطين صانوا تراث الحضارة في المغرب بهذه السياسة الإصلاحية التي وضع أساسها الأمير يوسف بن تاشفين حين أوصى ولده بآلا يهيح عليه أهل درن ومن ورائه من المصامدة وأهل القبلة<sup>(5)</sup>.

#### مكانة الفقهاء والعلماء في العصر المرابطي:

اتبع حكام المرابطين وولاتهم بعد تأسيس الدولة سياسة تشجيع العلم والعلماء<sup>(6)</sup>، فأمر المسلمين يوسف بن تاشفين كان يقدر الفقهاء والعلماء ويجلهم ويعظم مكاتبتهم، ويصرف الأمور إليهم، ويأخذ فيها برأيهم، ويقضي على نفسه بفتياهم<sup>(7)</sup>، كما كان مكرمًا لهم<sup>(1)</sup>، ولم يكن هذا

(1) روض القرطاس، ص 44-45.

(2) حسن علي حسن: المصدر السابق، ص 182.

(3) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 100.

(4) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين (دار الفكر العربي، القاهرة، 1956م) ص 426.

(5) مجهول: الحلال الموشية، ص 82-83.

(6) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 173. ابن الأثير: الكامل في التاريخ (دار الكتاب العربي، بيروت، 1400هـ/1980م) ج 8

ج 8 ص 236-237. ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة (تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2،

1977م) مج 4، ص 349. السلاوي: المصدر السابق، ج 1 ص 215.

(7) ابن عذاري: المصدر السابق، ج 4 ص 46.

التكريم مقتصرًا على علماء المغرب الأقصى وفقهائهم، بل رحب بكل العلماء وخاصة علماء الأندلس<sup>(2)</sup>، الذين رحل إلى حضرته عدد كبير منهم ليكونوا في ظله وتحت رعايته<sup>(3)</sup>، حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس<sup>(4)</sup>، وفي عهده ازداد نفوذ الفقهاء وسمت مكاتبتهم، فإليهم يعود الفضل في جوازه إلى الأندلس، بل لا نبالغ إذا قلنا إنهم يعدون أحد الركائز الأساسية في توطيد حكمه في الأندلس<sup>(5)</sup>.

أما علي بن يوسف بن تاشفين (500-537هـ/1106-1142م)، الذي عاش فترة كبيرة من حياته بالأندلس، واليًا عليها من قبل أبيه<sup>(6)</sup>، فقد استهوته الثقافة الأندلسية، فنهل منها<sup>(7)</sup>، حيث: "كان يعد في الزهاد والمتبتلين أقرب منه إلى أن يعد في الملوك والمتغلبين"<sup>(8)</sup>، وكان كأبيه محبًا للعلماء والفقهاء مقربًا لهم<sup>(9)</sup>، فتعاطم نفوذهم في عهده حتى بلغوا مبلغًا عظيمًا لم يبلغوا مثله من قبل<sup>(10)</sup>، وبلغ تكريمهم لهم، أنه كان يخرج بنفسه لزيارتهم، كخروجه لزيارة ابن يلازج (ت540هـ/1145م) أحد فقهاء المالكية<sup>(11)</sup>، ولم يزل علي بن يوسف من أول إمرته يستدعي أعيان الكتاب من جزيرة الأندلس وصرف عنايته إلى ذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع للملك، وقد استعملهم وزراء وكتابًا في عهده<sup>(12)</sup>.

(1) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص173.

(2) حسن علي حسن: المصدر السابق، ص237.

(3) المرجع نفسه والصفحة.

(4) المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب (تحقيق: محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963م) ص144.

(5) نجوى أبو بكر محمد حسن: فقهاء المالكية في الأندلس في عصر المرابطين وأثرهم في الحياة السياسية (رسالة ماجستير، جامعة جنوب الوادي، كلية الآداب 1424هـ/2003م) ص63.

(6) مجهول: الحلال الموشية، ص84.

(7) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص491.

(8) المراكشي: المصدر السابق، ص144.

(9) النوري: تحاية الأرب (تحقيق: حسين نصار، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1983م) ج24، ص273. الذهبي: سير أعلام النبلاء (تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م) ج20، ص124. الحنبلي: شذرات الذهب (تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1406هـ/1986م) مج2، ج4، ص115.

(10) المراكشي: المصدر السابق، ص150.

(11) التادلي: الشوف (تحقيق: أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديد، الدر البيضاء، ط3، 2010م) ص152.

(12) المراكشي: المصدر السابق، ص151.

حين ورث تاشفين بن علي (537-539هـ/1142-1144م) الحكم عن أبيه، سار على سياسة سلفه تجاه الفقهاء والعلماء<sup>(1)</sup>، إذ "سلك طريق ناموس الشريعة ومال إلى طريقة المستقيمين وقراءة كتب المریدين"<sup>(2)</sup>.

لم تقتصر عناية المرابطين بالعلماء على ولاة الأمر منهم، بل امتدت لتشمل أغلب الأمراء والوجهاء من البيت المرابطي، فقد أقبل الأمراء والوجهاء على الثقافة والعلم يقلد كل منهم أمير المسلمين في تشجيعه للعلم والعلماء، واتخذوا الشعراء والأدباء جلساء وقربوا إليهم الفقهاء والعلماء<sup>(3)</sup>، إلى جانب تحكيم حملة الفقه في نوازلهم وقضاياهم<sup>(4)</sup>.

يدل على علو مكانة العلماء في العصر المرابطي، أن الفقيه علي بن حرزهم (ت559هـ/1163م) جاء من مدينة فاس إلى مراكش فاستدعاه بعض أمراء صنهاجة للقراءة عليه والأخذ عنه<sup>(5)</sup>.

#### دور الفقهاء والعلماء في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية

. أولاً / في الحياة السياسية:

كان للفقهاء والعلماء دور هام في الحياة السياسية خلال عصر المرابطين، مما جعل أمراء الدولة المرابطية يقومون بتكليفهم بوظيفة القضاء، دون الاستناد على العصبية القبلية، وهي سياسة حكيمة لتحقيق العدالة وتطبيق تعاليم الإسلام، وقد منحهم ذلك مكانة عالية في المجتمع المرابطي، حيث كانوا يستمدون نفوذهم من سلطة الدولة ويحكمون وفق المذهب المالكي<sup>(6)</sup>، ولأهمية هذا المنصب كان تعيين القاضي يصدر بمرسوم عن أمير المسلمين، يوصي فيه القاضي بأن يكون عادلاً حازماً لا تأخذه في الله لومة لائم، ويبين فيه سلطة القاضي، ومما يؤكد ذلك الرسالة التي بعثها أمير

(1) نجوى أبو بكر محمد حسن: المصدر السابق، ص71.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص79.

(3) حسن أحمد محمود: المصدر السابق، ص439.

(4) ابن خلدون: العبر، ج6، ص105.

(5) فدخل عليه أبو الحسن وهو على سريره فجلس أبو الحسن تحته فقال له: أهكذا كنت تفعل مع من كنت تتعلم منه؟ قال له: نعم. فقال له أبو الحسن: انزل إلى مكاني وأكون أنا في مكانك فأجابه الأمير إلى ذلك، فنزل عن سريره وجلس عليه أبو الحسن، فلازمه".

انظر: التادلي: المصدر السابق، ص169.

(6) ابن بسام: المصدر السابق، مج2، ص161.

المسلمين يوسف بن تاشفين إلى قاضي الجماعة أبي عبد الله بن حمدان (ت508هـ/1114م)<sup>(1)</sup> الذي كان حافظاً وأديباً شاعراً لغويًا أصوليًا تولى قضاء قرطبة سنة490هـ/1096م، وكان من أهل الجزالة والصرامة، وهو من بيت علم ونباهة وفضل وجلالة، يقول فيها: "وقد عهدنا إلى جماعة المرابطين أن يسلموا لك في كل حق تمضيه، ولا يعترضوا عليك في قضاء تقضيه، ونحن أولاً وكلهم آخره منذ صرت قاضيًا، سامعون منك غير معترضين في حق عليك"<sup>(2)</sup>.

فوض ابن تاشفين في الرسالة نفسها ابن حمدان في تصريف الأمور فيقول: "ولا نشير بشيء عليك، وتصرفك أحياناً في إصلاح صنعتك وترقيع معاشك، غير مضيق عليك فيه، فاعلمه"<sup>(3)</sup>. كانت هذه الرسالة إعلاناً عن بدء عصر جديد يلعب فيه العلماء دوراً سياسياً وإدارياً داخل الدولة المرابطية، وقد استمر هذا الدور قائماً إلى نهاية دولة المرابطين، وكان علماء فاس ضمن أولئك العلماء الذين أسهموا بشكل مؤثر في الحياة السياسية في الدولة المرابطية. وكما كان تعين القاضي بمرسوم، كان عزله بمرسوم من قبل أمير المسلمين يوضح فيه لأهالي البلد سبب عزله<sup>(4)</sup>.

تولى قضاء فاس في عهد المرابطين عدد من الفقهاء، سواء كانوا من أهلها أو من خارجها على رأسهم الإمام الفقيه العلامة النزيه المفتي بفاس والقاضي بها أبو عبد الله محمد بن علي بن جعفر ابن الرمامة (ت567هـ/1171م)، وهو من أهل قلعة حماد، لقي في قرطبة أبا الوليد بن رشد، وأبا بجر الأسدي وأبا الوليد ابن طريف وغيرهم فحمل عنهم وسمع منهم<sup>(5)</sup>، ثم نزل فاس وولى قضاءها سنة 534هـ/1139م وصرف عنه سنة 535هـ/1140م وحدث بها ودرس وأخذ الناس عنه<sup>(6)</sup>، ومن

(1) ابن بشكوال: الصلة (الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2008م) ج2ص208.

(2) ابن بسام: المصدر السابق، مج2ص160-161، والنص المقتبس من الرسالة، ص161.

(3) المصدر نفسه، مج2ص161.

(4) قد أنفرد ابن عذاري بالإشارة إلى سطور من المرسوم الذي أرسله أمير المسلمين علي بن يوسف إلى أهل مدينة فاس سنة 528هـ/1133م، يبين فيه الأسباب التي أدت إلى عزله لقاضيه ابن الملجوم عن قضاء مدينة فاس، جاء فيه: "أبقاكم الله وأكرمكم بتقواه ويسركم لما يرضاه وقد أمئى إلينا أن الجهول ابن الملجوم، أجهل بأحكام القضاء من العلجوم، وأنه أظهر منكم أحكاماً يترحم من مثلها على سدوم، فقد ولينا خطة الملوم ونبدناه في العراء وهو مذموم، وجعلنا شهب العزلة الشياطينة كالرجوم. أنظر: ابن عذاري: المصدر السابق، ج4ص192.

(5) الكتاني: سلوة الأنفاس (تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، 2004م) ج2ص134-135.

(6) المراكشي: الذليل والتكملة، (تحقيق: محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المغربية، الرباط، 1984م) السفر الثامن، القسم الأول

تفقهوا عليه بفاس أبو ذر الخشني وأبو البقاء يعيش بن القديم الأنصاري وأحمد بن محمد البكري وعلي بن محمد البلنسي وغيرهم، توفي بفاس سنة (567هـ/1171م) وصلّى عليه أبو حفص بن عمر قاضي فاس حينئذ<sup>(1)</sup>.

وممن تولى قضاء فاس من الفقهاء محمد بن داوود بن عطية الجراوي، أصله من إفريقية، استقضى بتلمسان ثم إشبيلية، ثم فاس، وتوفي سنة (525هـ/1130م)<sup>(2)</sup>، والفقهاء القاضي عبد الله بن أحمد بن وشون الهذلي (ت 529هـ/1134م)<sup>(3)</sup>، من بيت بني وشون بفاس<sup>(4)</sup>، والفقهاء القاضي السرقسطي محمد بن حكم ابن باق الجذامي (ت 533هـ/1138م)، نزل مدينة فاس وولى أحكامها وأفتى بها ودرس العربية<sup>(5)</sup>، والفقهاء القاضي عيسى بن يوسف ابن الملجوم الزهراني الأزدي (ت 543هـ/1148م)، من بيت بني الملجوم بفاس<sup>(6)</sup>، وقد تولى القضاء بفاس ومكناس<sup>(7)</sup>.

. علاقة المرابطين بفقهاء المالكية في فاس:

كانت فاس . قبل العصر المرابطي . معقلًا مهمًا من معاقل المذهب المالكي في بلاد المغرب<sup>(8)</sup>، ساعد على ذلك أن الأدارسة اعتمده مذهبًا في قضائهم<sup>(9)</sup>، وأن أغلب فقهاء مسجد القرويين كانوا

"الغرياء"، ص 502-503.

(1) الكتاني: المصدر السابق، ج 2 ص 135.

(2) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج 2 ص 606. ابن القاضي: المصدر السابق، ج 1 ص 255.

(3) ابن القاضي: المصدر السابق، ج 2 ص 419. الكتاني: المصدر السابق، ج 3 ص 41 ع 1395.

(4) ابن الأحمر: المصدر السابق، ص 41.

(5) ابن القاضي: المصدر السابق، ج 1 ص 255-256.

(6) ابن الأحمر: المصدر السابق، ص 10.

(7) ابن القاضي: المصدر السابق، ج 2 ص 501.

(8) ابن الأثير: المصدر السابق، ج 5 ص 532. السلاوي: المصدر السابق، ج 1 ص 150. سعدون عباس نصر الله: دولة الأدارسة في المغرب (دار النهضة العربية، بيروت، ط 1، 1408هـ/1987م) ص 37.

(9) سعدون عباس نصر الله: المرجع السابق، ص 126. الحسن السائح: الحضارة المغربية "البداية والاستمرار" (منشورات عكاظ، الرباط، ط 2، 2004م) ج 2 ص 13-14.

وجد إدريس الأول المغاربة متمسكين بمذهب الأمام مالك ولذلك لم يرغب في الاصطدام بهم حفاظاً على وحدة دولته الفتية، حيث غلبت الأسباب السياسية على الجوانب المذهبية.

انظر: عباس الجراوي: وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ (دار الثقافة، الرباط، 1976م) ج 1 ص 15. محمود إسماعيل: الأدارسة (مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م) ص 51-52.

من المالكية، فازدهر المذهب وازداد تمسك أهل المدينة به حتى أنها صارت علمًا عليه<sup>(1)</sup>، بل كثر طلابه طلابه الذين انتشروا في نواحي المغرب بعد أن أخذوه على يد شيوخه من فقهاء القرويين.

دخل فقهاء فاس بعد سقوط دولة الأدارسة سنة 372هـ/982م في صراع مع شيوخ المذاهب الأخرى من شيعة وخوارج وبرغواطية عقديّة، وظلوا كذلك إلى قيام الدولة المرابطية سنة 448هـ/1056م، وقد نجحوا خلال هذه المدة في إقامة شبكة من المراكز تمتد من إفريقية إلى السوس الأقصى، اشتهر منها القيروان ونفيس وفاس<sup>(2)</sup>، ولم تكن هذه الحركة ذات صبغة فقهية فحسب، بل مثلت مظهرًا دينيًا وسياسيًا يهدف إلى بعث حركة إصلاحية تنطلق من أحد هذه المراكز لتقييم الدولة المغربية السنوية في المغرب أولاً، ثم في سائر العالم الإسلامي.

تزرخ كتب التراجم والطبقات بذكر فقهاء المالكية من مدينة فاس الذين كانت جهودهم لها أهمية كبيرة في انتشار المذهب المالكي إبان القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، من أمثال، موسى بن يحيى الصديني أبو هارون (ت338هـ/949م)<sup>(3)</sup>، ودراس بن إسماعيل (ت357هـ/067م) الذي كان كان أستاذًا وشيخًا ومرجعًا لكثير من الطلاب في الغرب الإسلامي، فكان له تلامذة في إفريقية وفاس وسبته والأندلس، وتخرج على يديه كثير من العلماء، وأبو مروان عبد الملك الكوري (ت407هـ/1016م) فقيه عدوة الأندلس<sup>(4)</sup> وأبو عمران الفاسي (ت430هـ/1038م)<sup>(5)</sup>، وغيرهم.

ومن فقهاء المالكية الفاسيين في عصر المرابطين، ممن اشتهروا بإتقان العلم والفقهاء، الفقيه سعيد بن حنين الفقيه الشاعر من بيت حنين<sup>(6)</sup> من أهل فاس من بني كنانة، وتوفي بها سنة

(1) عبد العلي الوزاني: حول الدور الحضاري لمدينة فاس (مجلة دعوة الحق، تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط، العدد الثاني، السنة السادسة عشر، 1393هـ/1973م) ص157.

(2) محمد بزواي: دور الدعوة في نشأة الدولة المغربية (رسالة جامعية، كلية الآداب، الرباط، 1996م) ص296.

(3) ابن القاضي: المصدر السابق، ج1ص344. التنبكي: نيل الانتهاج (تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات دار الكتاب، طرابلس، 1421هـ/2000م) ص603. الكتاني: المصدر السابق، ج3ص371.

(4) القاضي عياض: ترتيب المدارك (ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/1998م) ج2ص233.

(5) المصدر نفسه، ج2ص280.

(6) إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص39.

(ت463هـ/1070م)<sup>(1)</sup>، والفقيه أبو القاسم عبد الرحمن ابن أبي ملوك القيسي (ت493هـ/1099م)<sup>(2)</sup>، من بيت بني ملوك القيسيين بفاس وقد توفي بها<sup>(3)</sup>، والفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف ابن الملجوم الزهراني، من أهل فاس، توفي بها سنة (544هـ/1149م)<sup>(4)</sup>، والفقيه أبو القاسم عبد الرحمن ابن عاش بالله المعروف بابن العجوز، من أهل فاس توفي بها سنة (547هـ/1152م)<sup>(5)</sup>، وأبو بكر يحيى بن محمد بن يوسف الأزدي الواعظ، من أهل فاس، لقيه ابن عباد في بانتينان من أعمال شاطبة سنة 544هـ/1149م<sup>(6)</sup>.

كان الأمير يوسف بن تاشفين مالكي المذهب، فأعلن مذهبه مذهباً رسمياً لدولته، ويعد ذلك الإعلان بداية مرحلة جديدة وطدت للمذهب المالكي في بلاد المغرب، وساعدت على التمكين له ولفقهاءه، ومن جانبه استطاع المذهب المالكي يلبي حاجات الناس في مختلف الأزمان والأوضاع والمستجدات والنوازل التي كانت تفرضها البيئات المختلفة مراعيًا في ذلك قاعدة "المصلحة العامة" التي تعتبر من أهم قواعده وأجلها<sup>(7)</sup>.

تعاون فقهاء المالكية مع المرابطين في تثبيت دعائم حكمهم، فحين دخل المرابطون فاس لم يعارضهم فقهاؤها بل سعى بعضهم إلى ملاقاتهم وهم في طريقهم إلى المغرب كعيسى بن الملجوم (ت543هـ/1148م) من بيت بني الملجوم بفاس<sup>(8)</sup>، وغيره من الفقهاء من المدن المغربية الأخرى.

ظل فقهاء المالكية في فاس يحظون بمكانة سامية في المجتمع المغربي طيلة العصر المرابطي، بل إن ابن تاشفين كان حريصاً على مشاورتهم في كل ما يخص شئون دولته داخلية كانت أم خارجية، فهو حين قرر العبور للأندلس بعد أن طلب فقهاؤها منه ذلك لرد عادية النصارى، قدم فاس سنة 477هـ/1084م مستشيراً فقهاءها في الأمر<sup>(9)</sup>، فأفتاه الفقيه يوسف بن عيسى بن الملجوم

(1) ابن القاضي: المصدر السابق، ج2ص518. الكتاني: المصدر السابق، ج1ص349.

(2) ابن القاضي: المصدر السابق، ج2ص390.

(3) إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص41.

(4) ابن القاضي: المصدر السابق، ج2ص391. ابن الأحمر: المصدر السابق، ص10.

(5) ابن القاضي: المصدر السابق، ج2ص391-392.

(6) المصدر نفسه، ج2ص537.

(7) عبد الغني الدقر: مالك بن أنس (دار القلم، دمشق، 1430هـ/2009م) ص143 وما بعدها.

(8) ابن القاضي: المصدر السابق، ج2ص500-501.

(9) عبد السلام ابن سودة: قضاة فاس من دولة الأشراف الادارة إلى دولة الشرفاء العلويين (تحقيق: عبد العزيز تيلاني، منشورات

(ت492/هـ/1098م)<sup>(1)</sup>، بأن من كان من الملوك فيه من الصفات ما كان في ملوك الطوائف من الاستقواء بالنصارى على بعضهم البعض وإغراق المسلمين بما لا يطيقونه من المكوس، فإن على المسلمين الخروج عليه والتمسك بطاعة مستنزيه...<sup>(2)</sup>.

لم يكن علي بن يوسف أقل من أبيه اهتماماً وتقريباً لفقهاء المالكية وإكبارهم وإجلالهم<sup>(3)</sup>، وكان من مستشاريه ابن رشد (520/هـ/1126م)، وكل ذلك ساهم في تعضيد المذهب المالكي في الدولة المرابطية<sup>(4)</sup>.

لم يكن دور فقهاء المالكية أقل أهمية في تثبيت ملك علي بن تاشفين من دورهم في عهد أبيه يوسف، فعندما امتنع الأمير يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين الذي كان حاكماً لفاس من قبل جده يوسف، عن البيعة لعمه علي بن تاشفين، كتب الأخير إلى فقهاء فاس وعلمائها يدعوهم إلى البيعة له، مما حدا بالأمير يحيى بعدما وقع هذا الكتاب في يده أن يجمع شيوخ المدينة وفقهاءها ليسترشد برأيهم في الامتناع عن البيعة لعمه، فلم يوافقوه الرأي، مما أشعر الأمير يحيى باستحالة وقوف أهل فاس معه وتأييدهم له، فكان لموقف الفقهاء بالغ الأثر عليه، فرضخ إلى أمرهم وآثر الخروج من المدينة<sup>(5)</sup>.

منشورات مديرية الوثائق الملكية القصر الملكي، الرباط، ط1، 2009) ص44. نجوى أبو بكر محمد حسن: المصدر السابق، ص63.

(1) اسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص14.

(2) المصدر نفسه والصفحة.

(3) ويصفه المراكشي بكونه "كان حسن السيرة جيد الطوية بعيداً عن الظلم... اشتد ايثاره لأهل الفقه والدين، وكان لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء، فكان إذا أولى أحد من قضاائه كان فيما يعهد إليه ألا يقطع أمراً ولا يبيت حكومه في صغير من الأمور وكبير إلا بحضور أربعة من الفقهاء، فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغاً عظيماً" أنظر: المعجب، ص150.

(4) فعندما قدوم الأمير علي بن يوسف إلى فاس لحسم مسألة فقهية أثير فيها بعض الجدل، وجلس مع فقهاء المدينة واستشارهم ولكن لم يحسم الأمر معهم مما جعله يتوجه بمخاطبة الفقيه القاضي ابن رشد ابن الجد الأندلسي القرطبي.

انظر: ابن رشد: فتاوى ابن رشد (تحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1407/هـ/1987م) السفر الثاني، ص802 وما بعدها.

(5) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص199-200.

حفظ الأمير علي بن تاشفين لفقهاء فاس موقفهم هذا، لذلك فإنه حين أمر بأن تطرح جثة الفقيه ابن بركان (ت536هـ/1141م)، في المذبلة ولا يصل على عليه<sup>(1)</sup>.

وكان لموقف أبي الفضل يوسف بن مُجَدِّ النحوي (ت513هـ/1119م) من كتاب الإحياء الإمام الغزالي<sup>(2)</sup>، الذي اعتبر من أعظم مفكري المسلمين، وكان متمكناً من علوم الدين، إذ تكمن خطورة كتابه في ذلك العصر، من كونه استطاع أن يجعل من التصوف جزءاً من الدين<sup>(3)</sup>، ليجعل للتصوف مكانة راسخة لدى أهل السنة<sup>(4)</sup>، ومن هنا شكل هذا الكتاب خطورة على فقهاء الدولة المرابطية الذين أفتوا بضرورة إحراقه خصوصاً قاضي قرطبة، وأيد ذلك العديد من فقهاء الأندلس مما حدى بأمير المسلمين علي بن يوسف أن يرسل الكتب يأمر بإحراق الكتاب حيثما وجد، فقد قام الغزالي بالتوفيق بين التصوف والإسلام ابتداءً من أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي<sup>(5)</sup>، فكتاب الإمام الغزالي كان فتحاً جديداً في الفكر الصوفي المغربي، بل اعتبر أكثر من ذلك ذلك في كونه العامل المرجح في سيطرة الفكر الصوفي على العقلية الدينية للمغاربة رغم المشاكل التي أثّرت عند دخوله للمغرب إذ قال مُجَدِّ القبلي: "إن الإحياء كخطاب محرك، قد عزا الرواية التاريخية المغربية، وفرض نفسه عليها من أول ظهوره بأقصى الغرب الإسلامي، إذ لم يكن لنفس الرواية المغربية كغيرها من الروايات عهد بمثل هذا النوع من المادة الإخبارية، ولا بمثل هذا النوع من التدخل المفاجئ

(1) طلب الشيخ (ابن حرزهم) من خادمه أن ينادي في طرق مراكش وأسواقها، يقول لكم ابن حرزهم: أحضروا جنازة الشيخ الفقيه الصالح الزاهد أبي الحكم بن بركان، ومن قدر على حضورها ولم يحضرها فعليه لعنة الله، فبلغ ذلك أمير المسلمين علي بن يوسف فقال: من عرف فضله ولم يحضر جنازته فعليه لعنة الله. بمعنى أنه نزل على قول ابن حرزهم ولم يعارضه فيه.

أنظر: مُجَدِّ بن مُجَدِّ بن عبد الله المؤقت المراكشي: السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية (تعليق: أحمد متفكر، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، ط3، 1432هـ/2011م) ص71.

(2) أبو حامد الغزالي هو: حجة الإسلام مُجَدِّ بن أحمد الطوسي الشافعي، أحد الأعلام، تلميذ لإمام الحرمين، ولاة نظام الملك، تدرس مدرسته ببغداد، وخرج له الأصحاب، وصنف التصانيف، مع التصوف والذكاء المفرط والاستبحار من العلم، توفي في بلاد طوس وله خمس وخمسون سنة.

أنظر: الذهبي: العبر في خبر من غير (تحقيق: أبو هاجر مُجَدِّ السعيد بن بسويو زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت) ج2 ص387.

(3) جولد تسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام (ترجمة: مُجَدِّ يوسف موسى وآخرون، القاهرة، ط2، 1959م) ص179.

(4) حسين سيد عبد الله مراد: المتصوفة في المغرب الأقصى في عصري المرابطين والموحدين (القاهرة، 1415هـ/1994م) ص23.

(5) ابن القطان: المصدر السابق، ص70. الونشيري: المعيار المغرب (شراف: مُجَدِّ حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م) ج12 ص184، 188.

للنص في السلطة والحدث<sup>(1)</sup>، ولقد كان تعلق صوفية المغرب الأقصى بكتاب الإحياء لكونه موافقاً للكتاب والسنة<sup>(2)</sup>، وعندما أفتى فقهاء المغرب بإحراق كتب الغزالي، وأمر أمير المسلمين علي بن تاشفين بإحراقها انتصر أبو الفضل النحوي للغزالي وكتب إلى علي بن تاشفين في ذلك، ولا يقل موقف علي ابن حرزهم (ت0559هـ/1163م) من كتب الغزالي عما فعله أبو الفضل النحوي، وذلك عندما وصل إلى فاس كتاب أمير المسلمين علي بن تاشفين بالتحريح (بالتضييق) على كتاب الإحياء وأن يحلف الناس بالإيمان المغلطة أن الإحياء ليس عندهم، فذهب إلى أبا الفضل يستفتيه في ذلك، فأفتى بأنها لا تلزم، بل وجد عنده أسفار من كتاب الإحياء كان أبو الفضل قد انتسخها في ثلاثين جزءاً، فإذا دخل شهر رمضان قرأ في كل يوم جزءاً، فقال ابن حرزهم وددت أني لم أنظر في عمري سواها<sup>(3)</sup>.

وجد أمراء المرابطين في فقهاء المالكية أداة صالحة لتثبيت سيطرتهم وسلطانهم، فأخذوا يستخدمونهم لخدمة أغراضهم<sup>(4)</sup>، وجمعوا حولهم فقهاء المالكية دون بقية العلماء من المذاهب الأخرى<sup>(5)</sup>، وفي ذلك يقول المراكشي: "وكثر العمل بكتب فروع مذهب مالك، حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ"<sup>(6)</sup>، ولوهم القضاء ومنحهم رتبة عالية في الدولة حتى كثرت أموالهم واتسعت مكاسبهم، إضافة إلى أن السلطة القضائية كانت تتمتع باستقلال كبير عن السلطة التنفيذية، والأهم من ذلك أن تعيين القاضي كان يصدر بمرسوم عن أمير المسلمين وكذلك عزله، على أن يوضح الأمير أسباب عزله لأهل ذلك البلد<sup>(7)</sup>.

(1) رمز الإحياء وقضية الحكم في المغرب الوسيط (ضمن: ابو حامد الغزالي، دراسات في فكره وعصره وتأثيره، منشورات كلية الآداب، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 9، سنة 1988م) ص140.

(2) التادلي: المصدر السابق، ص96. ابن قنفذ: أنس الفقير (تصحيح: محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م) ص13. ابن القاضي: المصدر السابق، ج2 ص466، السلاوي: المصدر السابق، ج1 ص226.

(3) التادلي: المصدر السابق، ص96.

(4) علي الإدريسي: الأشعرية والاستقرار المذهبي بالمغرب ضمن المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب من التعدد إلى الوحدة (تنسيق: حسن حافظي علوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1429هـ/2008م) ص126.

(5) خوليان ربييرا: التربية الإسلامية في الأندلس (تحقيق: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1994م) ص29.

(6) المعجب، ص151.

(7) سعدون عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس (دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م) ص166.

لم يحظ من الفقهاء بمنزلة لدى المرابطين إلا من علم فروع مذهب مالك<sup>(1)</sup>، وساعتها يمكن أن يكون قاضيًا<sup>(2)</sup>، فابن الأبار يذكر أن أباه "كان من حفاظ المذهب المالكي مشاورًا بفاس أيام لمتونة"<sup>(3)</sup>، ومعظم أسماء القضاة أو الذين تولوا خطة الشورى تقتزن تراجمهم بتبجهم في المذهب المالكي<sup>(4)</sup>، وقد ركزت الدولة تشريعها القضائي وفق المذهب المالكي وشددت على ضرورة الالتزام به نصًا وروحًا، وفي المقابل عملت على محاربة المذاهب الأخرى وكل العلوم التي لا تنسجم مع مذهبهم، وقد دلت المصادر على ذلك ببعض القرائن<sup>(5)</sup>.

من فقهاء المالكية الذين عاشوا في كنف المرابطين في فاس الفقيه أبو بكر عثمان بن مالك، فقيه فاس وزعيم فقهاء المغرب في وقته (ت444هـ/1052م)<sup>(6)</sup>، ومُجد بن عيسى بن حسين التميمي السبتي قاضي فاس وسبته (ت503هـ/1109م)<sup>(7)</sup>، وعبد الرحمن بن مُجد بن العجوز الكتامي، يعرف يعرف بابن العجوز من أهل سبته، قاضي الجزيرة الخضراء ثم ولي قضاء سلا ثم مراكش ثم فاس (ت510هـ/1116م)<sup>(8)</sup>، وخلوف بن خلف الله الصنهاجي، قاضي غرناطة ثم فاس، ثم قاضي الجماعة بمراكش (ت515هـ/1121م)<sup>(1)</sup>، وغيرهم.

(1) المراكشي: المصدر السابق، ص151. لمزيد من التفاصيل عن قضاة الدولة المرابطية.

أنظر: عبد السلام ابن سودة: المصدر السابق، ص44، 49.

(2) ففي ترجمة ابن القاضي لعبد الله بن مُجد بن عيسى التادلي (502هـ/1108م). الذي ترجم له تحت اسم: مُجد بن عيسى " فقط.

انظر: جدوة الاقتباس، ج1 ص253. وذكره ابن الزيات التادلي وقال عنه المحقق في هامش "434 من حفاظ المذهب المالكي، كان مشاورًا بفاس أيام المرابطين.

انظر: المصدر السابق، ص198.

(3) التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص306.

(4) للمزيد أنظر: ابن الأبار: المصدر السابق، ج1 ص157، 159، ج2 ص161-162.

(5) ذكر ابن التادلي: ان حاكم منطقة سجلماسة مر على أحد علماء المتصوفة وهو يدرس أصول الفقه فقال: "أرى هذا أراد ان ان يدخل علينا علوماً لا نعرفها، فأمر بإخراجه من المسجد.

انظر: التشوف، ص98. كما أورد ابن عبد الملك المراكشي في ترجمة فقيه ظاهري أنه "كان فقيهاً ظاهري المذهب وهو ممن غرب عن الأندلس واعتقل بمراكش أيام الأمير أبي الحسن علي بن يوسف للمتوني".

انظر: الذيل والتكملة، (تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1973م) السفر السادس، ص182.

(6) القاضي عياض: المصدر السابق، ج2 ص332. ابن القاضي: المصدر السابق، ج2 ص457.

(7) ابن القاضي: المصدر السابق، ج1 ص252.

(8) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1 ص354. ابن فرحون: الديباج المذهب (تحقيق: مأمون بن محي الدين الحنان، دار الكتب

أبرزت البيئة المستقرة لفقهاء المالكية في عصر المرابطين، فقهاء نُظَّارًا وعلماء أفذاذًا أثروا الدراسة الفقهية وأعطوها حقها، فاجتمعت بذلك ذخيرة معرفية في المسائل والوثائق، والمظالم والحسبة، وأحكام القضاة وشروطهم.. وكان من الفقهاء من تخصص في فروع هذه المعرفة الفقهية وصنف في موضوعات خاصة منها أحكام العتق، وأحكام الجهاد وأحكام كراء الدور والأراضي، وكراء الرواحل والدواب، فضلا عن العدد الهائل من النوازل والفتاوى المغربية والأندلسية<sup>(2)</sup>، التي تتعلق بمختلف الأبواب الفقهية، وتُثير عددا من قضايا واقع ما فتى يعرف تطورا وتداخلا ونموا وتعقيدا، ناهيك عن الأحكام المختلفة المبنوثة في العديد من المصنفات الأخرى مما يكشف على أن المواكبة الفقهية لضبط المستجدات وتنظيم التطورات كانت شاملة لمختلف المجالات<sup>(3)</sup>، ويشير الونشريسي إلى أن مدينة فاس "احتوت من الكتب الغربية شيء لا يشاركها من بلاد المغرب فيه غيرها، وخاصة ما اختص به مذهب مالك من التشعب والتفرق واختصاص كل أفق بما ينقلون عنه دون غيرهم"<sup>(4)</sup>.

حين تدهور الحكم المرابطي وضعف، عمل بعض فقهاء المالكية على التأسيس لدعوة ابن تومرت في فاس، فالقاضي أبو مُجَّد عبد الحق الكتاني الغرناطي، أحد رؤساء جامع القرويين على عهد المرابطين، كان على رأس علماء القرويين الذين حضروا مجالس ابن تومرت في مسجد الطالعة، ومما يدل

الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م) ص245. الكتاني: المصدر السابق، ج3ص295.

(1) ابن الأبار: المصدر السابق، ج1ص254. ابن القاضي: المصدر السابق، ج1ص193.

(2) كمثل لا للحصر، مُجَّد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت520هـ/1126م)، قاضي الجماعة بقرطبة، دخل فاس وأخذ عنه بما جماعة، كان يحظى باحترام كبير من حكام مراكش، وله تصانيف في الفقه، يبدو أنها كانت مما يدرس في فاس خلال العصر المرابطي، ومنها "الأجوبة" و"المقدمات" و"البيان والتحصيل والشرح والتوحيد والتعليل"، وكانت تصانيفه تلامي من أهل عصره ومن أتى بعدهم كل إجلال وتقدير وتحظى بعناية أهل العلم حتى أصبحت متداولة في شتى الأقطار، وهو ما يؤكد الضبي بقوله: "كان أوجد زمانه في طريقة الفقه"، وصفه القاضي عياض بأنه "زعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس والمغرب ومقدمهم المعترف له بصحة النظر وجودة التأليف ودقة الفقه".

أنظر: القاضي عياض: الغنية "فهرست شيوخ القاضي عياض" (تحقيق: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1402هـ/1982م)، ص54. ابن فرحون: المصدر السابق، 373. ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2ص576. المراكشي:

الذيل والتكملة، السفر السادس، ص307-308. ابن القاضي: المصدر السابق، ج1ص254-255.

(3) للمزيد انظر: أحمد الطاهري: دراسات ومباحث في تاريخ الأندلس (د. م، 1993م، ط1) ص91. أحمد الطاهري، عامة قرطبة في عصر الخلافة (منشورات عكاظ، الرباط، 1988م) ص15-16. مُجَّد عبد الوهاب خلاف، قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي/الخامس الهجري (الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م) ص159.

(4) المعيار المغرب، ج1ص211.

على تأثره بدعوة ابن تومرت، أن بعض تجار أدوات الطرب واللهو التجئوا إليه بعد أن قام طلبة المهدي بتكسير بضاعتهم، فأجابهم "لولا أن ابن تومرت لم ير فيها منافاة للشرع، لما أمر طلبته بذلك"<sup>(1)</sup>. وكان هذا مما استدعى عزله من قبل علي بن يوسف بن تاشفين، على اعتبار أن قوله هذا يشجع على الفوضى.

نستخلص مما سبق: أنَّ الفقهاء والعلماء في العصر المرابطي كانوا يُشكّلون طبقةً اجتماعيةً نشطة وفاعلة، أثرت في التاريخ السياسي في فاس بشكل خاص، والسلطة المرابطية بشكل عام، سواء كان ذلك أثناء قوة المرابطين، أو في فترة ضعفهم، ففي فترة قوة المرابطين، كان الفقهاء والعلماء عوناً لتثبيت سلطة الدولة، فقد سعى معظمهم أن يبذلوا ما استطاعوا من جهدٍ في سبيل نشر الخير والعدل في البلاد، بتسيخ مبادئ الدين الإسلامي والسنة النبوية الشريفة من خلال التأكيد على التمسك بالمذهب المالكي مذهب الدولة ومحاربة ما دون ذلك. أما في فترة ضعف المرابطين، فقد سعى الفقهاء والعلماء للانضواء تحت سيطرة القوة الناشئة المتمثلة في الدولة الموحدية ضد المرابطين.

. ثانيًا/ في الحياة الاقتصادية والاجتماعية:

لم يكتف علماء فاس بالدور السياسي الذي لعبوه، وإنما كان لهم دور اقتصادي واجتماعي ساعد على نهضة مدينتهم، فشاركوا في الزراعة والصناعة وساهموا في حل كثير من المشكلات الاجتماعية التي كانت تواجه فاس آنذاك.

تفاوتت الوضعية الاجتماعية للفقهاء والعلماء في العصر المرابطي، فمنهم من كان ذا ثروة وجنان، ومنهم من كان من المعدمين الذين لا يملكون إلا قوت يومهم، ومنهم من كانوا أصحاب حرف مختلفة، كالحياطين والجزازيين والخرازين والناسخين وغيرها، كمن عرف نشاطه من لقبه، كالحشاش والخراط والحداد والطراز، وغيرها، فكانوا أصحاب مهن يولون قيمة كبرى للعمل، ليحصلوا منه على معيشتهم بعرق جبينهم.

كان لكثير من الفقهاء أراضٍ يزرعونها سواء بأنفسهم أو عن طريق فلاحين يساعدهم في ذلك، فالفقيه محمد بن عبود كان من أعيان فاس، وهم بيت بني عبود، لهم درب بفاس يقال له درب ابن عبود، وهم أملاك من دور وجنان ودكاكين، ولهم موضع حرث بوادي سبو خارج باب الفتوح<sup>(2)</sup>،

(1) البيهقي: أخبار المهدي بن تومرت (دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م) ص 23-24.

(2) الفاسي: ذكر بعض مشاهير أهل فاس في القديم، ص 38.

ولذلك فهم من أهل اليسار و الجنان<sup>(1)</sup>، وكذلك كان الحال بالنسبة لمعظم الأسر الكبرى التي عرفت بالعلم وشغلت خطة القضاء وما يلحق بها، فقد نسب إلى بيت المزدغي الذي عرف بالعلم والصلاح أزقة وبساتين<sup>(2)</sup>، كما كان بيت بني علي، بيت الفقه والصلاح، لهم جنان تعرف بهم<sup>(3)</sup>، وبيت الفقه والعلم، بيت بني زنوبة الذين كان لهم جنان وزيتون<sup>(4)</sup>، فكانوا ينالون دنيا عريضة وأموراً جلييلة<sup>(5)</sup>، وبيت المغيلي، الذين كان بيتهم بيت علم وثروة ولهم زقاق بفاس<sup>(6)</sup>،

أما بيت بني شيبون وبيت بني الغماري فكان لكل منهما زقاق بفاس أيضاً<sup>(7)</sup>.

من الفقهاء من عمل بمهنة الجزارة، على نحو ما كان أبو جبل يعلى (ت503هـ/1109م) الذي عرف بالورع في البيع والشراء فكان لا يشتري الغنم إلا من قوم يعرف طيب مكسبهم ولا يبيع إلا لقوم بأعيانهم يقطع لكل واحد منهم قدر ما يكفيه، من الفقهاء من عمل بمهنة الجزارة، على نحو ما كان أبو جبل يعلى (ت503هـ/1109م) الذي عرف بالورع في البيع والشراء فكان لا يشتري الغنم إلا من قوم يعرف طيب مكسبهم ولا يبيع إلا لقوم بأعيانهم يقطع لكل واحد منهم قدر ما يكفيه<sup>(8)</sup>، والشيخ عبد الرحمن الخراز، الذي كان "مقبلاً على حرفته، فإذا جاء الصيف خرج للحصاد،

(1) الذي ترجم له لم يذكر سنة وفاته.

النظر: ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس (تحقيق: زهراء النظام، منشورات كلية الآداب، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1997م) ص60-61.

(2) ابن الأحمر: المصدر السابق، ص9.

(3) المصدر نفسه، ص25 الفاسي، المصدر السابق، ص20.

(4) ابن الأحمر: المصدر السابق، ص35.

(5) عز الدين موسى: المصدر السابق، ص153.

(6) الفاسي: المصدر السابق، ص17.

(7) المصدر نفسه، ص20، 32.

(8) كان إذا صلى الصبح أقام في المسجد: "إلى أن يصلي الضحى ويتعالى النهار، فيخرج إلى دكانه بالسوق، وقد ذبح تلامذته الغنم وأعدوها للبيع فيختطفها المبتاعون، فيذهب ويعتسل ويتوضأ ويدخل المسجد ولا يزال متنفلاً إلى أن يصلي الظهر، ثم لا يزال متنفلاً كذلك إلى أن يصلي العصر، ثم يجلس إلى حلقة الذكر والفقه إلى أن يصلي المغرب، ثم لا يزال متنفلاً إلى أن يصلي العشاء الآخرة فينصرف إلى أهله فيقوم إلى ورده بالليل.

أنظر: التادلي: المصدر السابق، ص102.

للحصاد، يحدد بيده عند من يرضى حاله، ولا يأخذ زائداً على إجارته المعلومة، فيتقوت بذلك، ويتفرغ للعبادة<sup>(1)</sup>.

ومن العلماء من كان تاجراً وطالباً للعلم، فقد كان مُحَمَّد بن جعفر بن الرمامة (ت567هـ/1171م)، من أهل قلعة حماد ونزيل فاس، دخل الأندلس تاجراً وطالباً للعلم، فلقي بقرطبة عدداً من العلماء فسمع منهم وحمل عنهم<sup>(2)</sup>، كما كان عبد الله بن دبوس<sup>(3)</sup> إمام المسجد الجامع، جامع القرويين من فاس، فقيهاً عالماً مجاب الدعوة لكثرة تبتهلته وإنابته لله<sup>(4)</sup>.

شارك الفقهاء والعلماء أهل فاس في كثير من الأزمات التي حلت بهم في العصر المرابطي، لاسيما أوقات المجاعات، إذ كانوا يطعمون الفقراء ويوزعون الصدقات، فقد دخل أبو عبد الله مُحَمَّد المهدي (ت595هـ/1198م) مدينة فاس بأربعين ألف دينار أنفقها كلها في سبيل الخير حتى لم يبق له إلا دار سكنائه، فباعها وأمتعته المشتري بها إلى أن توفي، وكان عنده نحو الوسق<sup>(5)</sup> من القمح فباعه من بعض أهل فاس في مجاعة وضرب عليهم رسوماً بذلك، ثم قطع الرسوم وجعلهم في حل مما فيها<sup>(6)</sup>.

(1) التميمي: المستفاد في مناقب العباد (تحقيق: د. مُحَمَّد الشريف، مطبعة طوب بريس، الرباط، ط1، 2002م)، ج2 ص136.

(2) الكتاني: المصدر السابق، ج1 ص134-135.

(3) الذين ترجموا له لم يذكرنا سنة وفاته.

أنظر: التميمي: المصدر السابق، ج2 ص208. ابن القاضي: المصدر السابق، ج2 ص422-423. الكتاني: المصدر السابق، ج3 ص381-382.

(4) كان له جنان بداخل فاس، دخله للصوص ليلاً وقطعوا من رمان كان فيه، فلما أرادوا الخروج منه لم يجدوا منفذاً، حتى أصبحوا أصبحوا وهم على هذه الحال، ثم تابوا وتركوا ما أخذوا وانصرفوا، كما كانت له أغنام يربيهها، سرقت منها شاه أرادوا أكلها، فلم يطبخ لحمها، فأتوا إليه وتابوا فجعلهم في حل منها.

أنظر: الكتاني: المصدر السابق، ج3 ص381-382.

(5) الوُسُقُ والوُسُقُ: مَكْبَلَةٌ معلومة وقيل هو حمل بعير، وهو ستون صاعاً بصاع النبي صلى الله عليه وسلم، وهو خمسة أرتال وثلاث، فالوُسُقُ على هذا الحساب مائة وستون مَنًا، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ليس فيما دون خمسة أو سُقٍ من التمر صدقة" التهذيب الوُسُقُ بالفتح ستون صاعاً وهو ثلاثمائة وعشرون رطلاً عند أهل الحجاز، وأربعمئة وثمانون رطلاً عند أهل العراق على اختلافهم في مقدار الصاع والمِدَّة، والأصل في الوُسُقِ الحَمْلُ وكل شيء وسقته فقد حملته.

أنظر: ابن منظور: لسان العرب (دار صادر، بيروت، ط1، 1996م)، ج10 ص378.

(6) التادلي: المصدر السابق، ص332-333. ابن القاضي: المصدر السابق، ج1 ص273.

ورث عبد الرحمن بن عاش الله المعروف بابن العجوز (ت547هـ/1152م) فندقاً فباعه لأحد قرابته وتصدق بثمنه، ثم مات هذا القريب وورث ابن العجوز الفندق مرة أخرى، فباعه ثانية وتصدق بثمنه، وكان لابن العجوز فدان من الأرض في باب الجيسة، حصده ودرسه في عام شديد الجذب وتصدق بمحصوله على الفقراء، ثم حبس الفدان (جعله وقفاً) على المساكين<sup>(1)</sup>.

كان أهل فاس يعتمدون اعتماداً تاماً على العلماء في أزماتهم، فحين أصاب الناس قحط هرع أهل فاس إلى الشيخ أبي جبل يعلى (ت503هـ/1109م) وبعثوا إليه رجلاً عساه أن يدعو لهم بماء المطر، فما رجع الرجل حتى غيمت السماء وغيث الناس<sup>(2)</sup>.

ويبدو أن أموال الأحياس (الأوقاف)<sup>(3)</sup> بفاس كانت كثيرة، يأتي أغلبها من غلة الأراضي المحبسة على المساجد، فلما استأذن القاضي أبو عبد الله محمد بن داوود (ت525هـ/1030م) أمير المسلمين علي بن تاشفين في توسعة مسجد القرويين، طلب الأمير علي من قاضي القضاة ابن داوود أن يتم الإنفاق عليه من بيت مال المسلمين، ولكن القاضي قدم عرضاً مفصلاً لما يتوفر عليه المسجد من ذخائر وأموال تتمثل في العديد من أنواع العقار داخل المدينة وفي ضواحيها، وبين له أن ما يتجمع الآن من أوقافها في أيدي النظار ووكلائهم، من شأنه أن يكفي وحده لتسديد كل المبالغ، وهو ما يكشف عن أن المسجد لم تتوفر له الأموال فقط، بل كان له جهاز قوي يشرف على تلك الثروة الطائلة، تتألف من النظار والوكلاء، حتى أنه اجتمع للجامع من المحاسبات الجارية ما يزيد على ثمانين ألف دينار<sup>(4)</sup>.

(1) ابن القاضي: المصدر السابق، ج2 ص391-392.

(2) التادلي: المصدر السابق، ص103.

(3) الوقف: في اللغة هو الحبس مطلقاً، سواء كان حسيّاً أو معنوياً، والمعنى الإصطلاحي: هو حبس العين عن تملكها لأحد من العباد والتصدق بالمنفعة على الفقراء، والوقف: قد يكون وقف خيري، يصرف من أول الأمر إلى جهة خيرية كالفقراء والمساجد والمستشفيات... الخ، أو وقف أهلي، وهو ما جعل استحقات الربيع فيه أولاً إلى الواقف مثلاً ثم لأولاده ثم لجهة بر لاتقطع حسب إرادة الواقف.

أنظر: محمد زيد الإبياتي بك: كتاب مباحث الوقف (مطبعة علي سكر أحمد، مصر، 1330هـ/1913م) ص1-2.

(4) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص73. الجزنائي: زهرة الآس، ص67-68.

عندما لاحظ أبو عبد الله محمد بن صخر وجود فغرات<sup>(1)</sup> في صحن المسجد<sup>(2)</sup>، بعد أن أتم القاضي ابن داود بناءه، فقام بإصلاح الفغرات وفرش الصحن من ماله الخاص، بعد أن تعهد أمام القاضي ابن داود بأن المال الذي ينفق على المشروع موروث عن والده<sup>(3)</sup>.

كان للفقهاء والعلماء دورهم الأساسي في التعليم وتدريس القرآن الكريم، فكثير منهم كان يدرس القرآن والفقه، ولم تكن له حرفة يشتغلها غير تعليم العلم، فساهموا بنصيب وافر في تشييد المساجد وما لحق بها من كتابات، كالفقيه علي بن أحمد بن حنين (ت 569هـ/1173م) عندما قرر أن يستوطن فاس سنة 503هـ/1109م، فاشترى دارًا وبنى بها مسجدًا، والتزم الإمامة بمسجده وتصدر لإقراء القرآن الكريم والتدريس فيه سنًا وستين سنة إلى أن توفي<sup>(4)</sup>. ومما يؤكد هذا الدور ما ذكره التادلي عن أبي عبد الله التاودي (ت 580هـ/1184م) كان يساعد الطلبة على طلب العلم ويحثهم عليه، فلم يكن يأخذ أجرًا من الصبيان<sup>(5)</sup>.

لم يخل نشاط المؤسسات العلمية والدينية في مدينة فاس من أوجه اجتماعية لها دلالتها وأهميتها، فالجوامع والمساجد كانت دائمًا مراكز لأنشطة متعددة الألوان بالإضافة إلى وظيفته الصلاة وإقامة الشعائر الدينية، كانت تقام فيها حلقات الدرس، وفيها كان يجلس القضاة وحوهم المتخاصمون للفصل بينهم، ومن فوق منابرها تذاق أوامر الحكام وتعليماتهم، وعلى أبوابها توزع الزكاة والصدقات، وإليها يتجه الغريب الوافد<sup>(6)</sup>.

شارك فقهاء فاس عامتها في حياتهم الاجتماعية، فالقاضي محمد بن عبد الرحمن بن العجوز الكتامي (ت 510هـ/1116م) شدد على أهالي المدينة في الملابس فجعلهم يرتدون السراويلات رجالاً ونساء<sup>(7)</sup>، وكان بعض أهالي فاس يغالون في تكفين الميت فيكفونونه بالحريز، وجاراهم العامة في ذلك،

(1) فغرت: أي طلعت من قولك فَعَرَّ فَاهَ إِذَا فَتَحَهُ كَأَنَّهَا تَتَفَطَّرُ وَتَتَفَتَّحُ كَمَا يَنْفَطِرُ وَيُنْفَتِّحُ النَّبَاتُ، بِمَعْنَى (شقوق).

أنظر: ابن منظور: المصدر السابق، ج5 ص59.

(2) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص73. الجزنائي: المصدر السابق، ص67-68.

(3) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص77. الجزنائي: المصدر السابق، ص66.

(4) الكتاني: المصدر السابق، ج1 ص395.

(5) التادلي: المصدر السابق، ص272، 274-275.

(6) سعيد بعبد الفتاح عاشور: الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية (مجلة عالم الفكر، تصدر عن وزارة الأعلام، الكويت، المجلد

المجلد الحادي عشر، العدد الأول، السنة 1980م) ص109.

(7) القاضي عياض: الغنية، ص169. ابن القاضي: المصدر السابق، ج1 ص252-253. الكتاني: المصدر السابق،

فأفتى الفقهاء بنزع ذلك الكفن وعدم الصلاة على الجنازة وهي مستورة بالحريير<sup>(1)</sup>، ومن العادات الاجتماعية التي انتشرت في فاس في هذا العصر واعتادوا فعلها معلمي الكتاتيب أنه إذا علم بتعسر إحدى الحوامل يرسل الصبيان للدعاء لها<sup>(2)</sup>.

لم يقتصر دور الفقهاء والعلماء على التدريس وتعليم العلم، بل كانت لهم مواقف اجتماعية تدل على مدى اندماجهم في المجتمع وتأثيرهم فيه، بحيث لم يتركوا ميداناً من ميادين الحياة الاجتماعية العامة إلا وتدخلوا فيها وتركوا بصماتهم الواضحة عليها، فكان ما يقومون به ترسيخاً لجملة من الأخلاق الدينية ذات البعد الاجتماعي . كالتواضع، والعطف، والكرم،... الخ، انطلاقاً من ممارساتهم السلوكية التي كانت تهدف إلى تقويم الأفراد والمجتمع أخلاقياً، وهذا ما أكسبهم احتراماً العامة والخاصة في المجتمع، فقد لاحظ ابن حزم على أحد تلامذته الفاقه، فطلب من البقية أن "ينظروا له في شيء يستعين به" فجمعوا له دراهم و"احتشموا أن يدفعوها له، فقال مؤذن المسجد أنا أتبعه بما إذا خرج من المسجد وأدفعها له" فأعطوها للمؤذن حتى يعطيها له<sup>(3)</sup>. والفقهاء أبو عمر عبد الله السلاجي (ت564هـ/1168م) الذي كان يحمل الخبز إلى الفرن، فيريد تلامذته أن يحملوه عنه، فيأبى ذلك إلى أن قال لهم: "ما انتصبت للتعليم إلا لوجه الله تعالى فإذا لقيني منكم أحد فلا يتعرض لخدمتي بشيء فإني أخاف أن تفسد نيتي"، وكان يمر بالأبواب، فيجد النساء قد أخرجن الخبز لمن يحمله فيحمله لهن إلى الفرن<sup>(4)</sup>.

ج3ص375.

(1) ذكر الونشريسي: أن ذلك التحريم كان لعدة وجوه منها المباهاة والافتخار وأنفاق المال في وجه غير شرعي والتبدير، حيث يكلف بذلك الغني الفقير الذي لا يجد، كما إن لباس الحرير إنما رخص للنساء الأحياء من أجل الزينة، ولم يرخص للرجال واستعماله للميت.

انظر: المعيار المغرب، ج1ص341-342.

(2) الجزنائي: المصدر السابق، ص59. ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص90.

(3) التادلي: المصدر السابق، ص173-174. وهذا مما يؤكد الدور الاجتماعي الذي كان يقوم به العلماء في مساعدة الفقراء والمحتاجين ناحية، ومن ناحية أخرى يبين دور المساجد والقيمين عليها داخل المجتمع، مما يشكل نوع من التكافل الاجتماعي . إن صح التعبير.

(4) التادلي: المصدر السابق، ص201.

وكان الكثير من الفقهاء يتصفون بالكرم والسخاء، رغم فقرهم وضيق حالهم، ومع ذلك لم يثنهم ذلك عن تقديم المساعدة للأهالي إذ لزم الأمر، حيث يذكر التادلي أن أبا عبد الله التاودي (ت580هـ/1184م) لم يكن يأخذ أجرًا من الصبيان فأدى ذلك إلى ضيق حاله ومعاشه<sup>(1)</sup>.  
لجأ بعض عامة فاس إلى المتصوفة. لأنهم كانوا يعتقدون بأنهم مستجابوا الدعوة<sup>(2)</sup> يعالجون لهم المرضى<sup>(3)</sup>.

نستخلص مما سبق أن الفقهاء والعلماء كانت لهم مواقفهم تجاه أزمات المجتمع سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو أخلاقية، مما أكسبهم المكانة المرموقة في المدينة، سواء لدى النخبة الحاكمة أو عامة الناس في المدينة، وهذا يبين مدى الأثر الذي أحدثته الحياة الثقافية وأهلها من العلماء والفقهاء في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

### الخاتمة

(1) وكان موسم عيد الأضحى آنذاك مما جعل زوجته تدفع إليه بغزل عملته وقالت له: "بعه واشتر لنا بئمنه أضحية ولا تعطيه أحدًا". إدراكًا منها بكرم زوجها. فباع التاودي الغزل واشترى كبشًا وأمر الحمال أن يحمله إلى داره، فلقى في طريقه امرأة وزوجها يتنازعان بسبب الأضحية، فأعطاهما الكبش.

أنظر: التادلي: المصدر السابق، ص272، 274-275.

(2) راجع عن هذا الموضوع كتابي: التميمي: المستفاد في مناقب العباد. التادلي: التشوف في رجال التصوف.

(3) فقد مرض شخص ففرغ إلى صوفي كتب له نشرة فيها آيات من القرآن وبعض الأحاديث وأمره أن يشرب بعضها وينشر باقيها بثيابه وبيته، ففعل فحصل له الشفاء.

أنظر: ابن الحاج: المرآة والكرامات (مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب تحت رقم 179 تصوف، ورقة6.

ووبركة الشيخ أبي الحسن بن حرزهم شفيت امرأة من أوجاع برجلها وقامت عليهما بعد أن ظلت قعيدة أعوامًا عديدة.

أنظر: التميمي: المصدر السابق، ج2ص22.

وأصيب آخر بقرحة في رأسه فنظرها أبو جبل يعلى فعوفى منها وكأنها لم تكن.

أنظر: ابن عيشون: المصدر السابق، ص294.

ولم تتوقف تلك الكرامات بموت أصحابها، بل ظلت حتى بعد مماتهم، وقد أصيبت ابنة أحد العوام بمرض أعوزه علاجه فأتى قبر أبي جيدة: "وطلب الله أن يريحها منه في عافية، فاستجاب الله دعاءه ببركته..."

أنظر: ابن عيشون: المصدر السابق، ص320.

وذكر ابن القاضي تحت هامش (131) أن النساء تعتقد أن المرأة إذا زارته وأهدت إليه أحبها زوجها، فلذلك يقصدن ضريحه استجلابًا لمحبة بعولتهن، وتعتقد المرأة التي يطيعها زوجها ويحبها أن ذلك من بركة الدعاء عند قبره، حتى صار يقال في فاس عن

الرجل المشتهر بحب زوجته الغاض طرفه عن تصرفاته (فلان من خدامي سيدي أبو جيدة).

أنظر: جذوة الاقتباس، ج1ص107،

- من خلال دراستنا لموضوع أثر الفقهاء والعلماء في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في فاس خلال عصر المرابطين، توصلنا إلى النتائج الآتية:
- 1- أوضحت الدراسة أن المرابطين حققوا لفاس استقرارًا سياسيًا واجتماعيًا ترتب عليهما ازدهار عمراني واقتصادي ساعد على نهضة ثقافية وعلمية في فاس في العصر المرابطي كان له أثره على حياة سكان المدينة الاقتصادية والاجتماعية ومن ثم الثقافية.
  - 2- كشفت الدراسة أن ولاية المرابطين وأمراءهم جمعوا حولهم الفقهاء والعلماء والأدباء، وكانوا يأخذون برأيهم ومشورتهم وينفذون أحكامهم، مما أكسبهم مكانة رفيعة، وظهر لهم نفوذ في معظم مجريات الأمور في المجتمع الفاسي.
  - 3- بينت الدراسة مشاركة الفقهاء والعلماء اهتمام الأمراء المرابطين بإنشاء المؤسسات الاجتماعية المختلفة في فاس من مساجد وفنادق وحمائم وغيرها مما كان له الكثير من الفوائد على المجتمع الفاسي.
  - 4- رصدت الدراسة طبيعة التركيبة السكانية لأهالي فاس في عصر المرابطين التي ساهمت بدورها في ازدهار الحياة الثقافية، فامتزج العناصر التي تكون منها السكان: البربر، والعرب، والأندلسيون، واليهود والنصارى، أنتج عنصرًا بشريًا ذا ثقافات مختلفة، كان له دور كبير في ازدهار مدينة فاس سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا، كان للفقهاء والعلماء دور بارز في كثير من المواقف التي ساعدت على التأليف بين هذه العناصر المتباينة وإذابة الفوارق الاجتماعية بينها.
  - 5- كان للاستقرار السياسي والاجتماعي أثرهما في ازدهار الحياة الاقتصادية في فاس، مما وطد مكانة الفقهاء والعلماء ودعمها تلك الأموال التي كان ولاية الأمر من المرابطين يصدقونها عليهم حتى أضحو من ذوي الأموال والأرزاق ليشاركوا أهالي فاس حياتهم الاقتصادية.
  - 6- أظهرت الدراسة أن الفقهاء والعلماء كانت لهم مواقف إيجابية تجاه أزمات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية، مما أكسبهم المكانة المرموقة في المدينة خاصة لدى الطبقة العامة من المجتمع الفاسي، وهذا بين مدى الأثر الذي كان للفقهاء والعلماء في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

## المصادر والمراجع

## أولاً: المصادر المخطوطة:

- 1- ابن الحاج: (أبو عبد الله محمد بن العبدري الفاسي ت 737هـ/1336م): المراثي والكرامات (مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب تحت رقم 179 تصوف ميكرو فيلم 51877).
- 2- السيوطي: (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت 911هـ/1505م): كتاب في نسب بعض الصحابة والاشراف الادريسيين وغيرهم من ملوك لمتونة والموحدين (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 2024).
- 3- مجهول: رسالة في ذكر من أسس فاس (مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب تحت رقم 9732 ميكرو فيلم 10988).
- 4- مجهول: قصة المهاجرين المسمين بالبلدين (مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، دك 111/1، ضمن مجموعة مخطوطات).

## ثانياً: المصادر المطبوعة:

- 5- ابن الأبار: (أبو عبد الله بن أبي بكر القضاعي ت 658هـ/1260م): التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1415هـ/1995م.
- 6- ابن أبي زرع: (أبو الحسن علي الفاسي ت 726هـ/1326م): روض القرطاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1420هـ/1999م.
- 7- ابن الأثير: (أبو الحسن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت 630هـ/1232م): الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، 1400هـ/1980م.
- 8- ابن الأحمر: (إسماعيل ت 807هـ/1404م): بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

- 9- الإدريسي: (الشريف مُجَّد بن عبد العزيز ت560هـ/1164م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة بريل، ليدن، 1866م.
- 10- ابن بسام: (أبو الحسن علي ت542هـ/1147م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م.
- 11- ابن بشكوال: (أبو القاسم خلف بن عبد الملك ت578هـ/1182م): الصلة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2008م.
- 12- البيهقي: (أبو بكر بن علي الصنهاجي ت/ منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي): أخبار المهدي بن تومرت، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.
- 13- التادلي: (أبو يعقوب بن يوسف بن يحيى بن الزيات ت617هـ/1220م): التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق: أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديد، الدر البيضاء، ط3، 2010م.
- 14- التميمي: (أبو عبد الله مُجَّد بن عبد الكريم الفاسي ت603 أو 604هـ/1206 أو 1207م): المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق: د. مُجَّد الشريف، مطبعة طوب بريس، الرباط، ط1، 2002م.
- 15- التنبكي: (أحمد بابا ت1036هـ/1626م): نيل الابتهاج في تطريز الديباج، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات دار الكتاب، طرابلس، 1421هـ/2000م.
- 16- الجزائلي: (علي الجزائلي من أهل القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي): جنى زهر الآس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط3، 1429هـ/2008م.
- 17- الحسن الوزان: (الحسن بن مُجَّد ت944هـ/1537م): وصف أفريقيا، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، الرياض، 1978-1979م.
- 18- الحميري: (مُجَّد بن عبد المنعم ت/ أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي): الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مطابع هيدلبرغ، بيروت، ط2، 1984م.
- 19- الحنبلي: (عبد الحي بن أحمد بن مُجَّد العسكري ت1089هـ/1678م): شذرات الذهب، تحقيق: عبد القادر الأرئوط ومحمود الأرئوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1406هـ/1986م.

- 20- ابن حوقل: (أبو القاسم مُجَّد بن علي البغدادي النصيبي ت380هـ/990م): صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ط2، 1983م.
- 21- ابن الخطيب: (لسان الدين ت776هـ/1374م): الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: د. مُجَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1977م.
- 22- ابن خلدون: (أبو زيد عبد الرحمن بن مُجَّد ت808هـ/1405م): العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار أحياء التراث العربي، بيروت، 1971م).
- 23- \_\_\_\_\_: مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الواحد وافي، نخضة مصر، القاهرة، ط5، 2010م.
- 24- الذهبي: (مُجَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت748هـ/1347م): سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م.
- 25- \_\_\_\_\_: العبر في خبر من غير (تحقيق: أبو هاجر مُجَّد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت).
- 26- ابن رشد: (مُجَّد بن أحمد القرطبي ت520هـ/1126م): فتاوي ابن رشد، تحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م.
- 27- ابن سعيد المغربي: (أبو الحسن علي بن موسى المغربي ت685هـ/1286م): كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1970م.
- 28- السلاوي: (أحمد بن خالد الناصري ت1315هـ/1897م): الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، تحقيق: مُجَّد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1432هـ/2007م.
- 29- ابن عذارى: (أبو عبد الله مُجَّد ت بعد 712هـ/1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983م.
- 30- \_\_\_\_\_: البيان المغرب "قسم الموحدين" (تحقيق: مُجَّد إبراهيم الكتاني وآخرين، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1406هـ/1985م).
- 31- عياض: (القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي ت544هـ/1149م): الغنية "فهرست شيوخ القاضي عياض"، تحقيق: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1402هـ/1982م.

- 32- \_\_\_\_\_: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبطه وصححه: مُجَدَّ سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/1998م.
- 33- ابن عيشون: (مُجَدَّ بن مُجَدَّ الشرايط 1109هـ/1697م): الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق: زهراء النظام، منشورات كلية الآداب، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1997م.
- 34- الفاسي: (عبد الرحمن بن عبد القادر ت 1096هـ/1685م): ذكر بعض مشاهير أهل فاس في القديم (تحقيق: د. خالد الصقلي، مطبعة آنفو- برانت، فاس، 1428هـ/2007م).
- 35- ابن فرحون: (إبراهيم بن علي اليعمري ت 799هـ/1396م): الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الحنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م.
- 36- ابن القاضي: (أبو العباس أحمد بن مُجَدَّ ت 1025هـ/1616م): جذوة الاقتباس (دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م).
- 37- ابن القطان: (أبو الحسن علي بن مُجَدَّ الكتامي الفاسي ت 628هـ/1230م): نظم الجمان لترتيب ما ساف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكّي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1411هـ/1990م.
- 38- الفلقشندي: (أحمد بن علي ت 820هـ/1417م): صبح الأعشى في صناعة الأنشا، تحقيق: نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م.
- 39- ابن قنفذ: (أبو العباس أحمد الخطيب ت 810هـ/1407-1408م): أنس الفقير وعز الحقير، تصحيح: مُجَدَّ الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م.
- 40- الكتاني: (مُجَدَّ بن جعفر بن إدريس ت 1345هـ/1927م): سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، 2004م.
- 41- مارمول: (كرفخال ت/آخر القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي): إفريقيا، ترجمة: مُجَدَّ حجي وآخرون، مكتبة المعارف، الرباط، 1408-1409هـ/1988-1989م.

42- مجهول: (المؤلف مجهول من كتاب القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي): الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، 1958م.

43- مجهول: (المؤلف مجهول من كتاب القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي): الحلل المشوية في الأخبار المراكشية، تحقيق: د. سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدرا البيضاء، 1979م.

44- المراكشي: (عبد الواحد ت 647هـ/1249م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963م.

45- المراكشي: (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري ت 703هـ/1303م): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1973م) السفر السادس. والذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة، مطبوعات المملكة المغربية، الرباط، 1984م) السفر الثامن.

46- المراكشي: (محمد بن محمد بن عبد الله المؤقت ت 1369هـ/1949م): السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، تعليق: أحمد متفكر، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، ط3، 1432هـ/2011م.

47- ابن منظور: (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ت 711هـ/1311م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1996م.

48- النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت 732هـ/1332م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: حسين نصار، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1983م.

49- الونشريسي: (أبو العباس أحمد بن يحيى ت 914هـ/1508م): المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب (شراف: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م) ج1 ص341-342.

50- ياقوت: (شهاب الدين أبو عبد الله ت 626هـ/1229م): معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ/1990م.

ثالثًا: المراجع العربية والمعربة:

- 51- د. أحمد الطاهري: دراسات ومباحث في تاريخ الأندلس، د. م، ط1، 1993م.
- 52- -: عامة قرطبة في عصر الخلافة، منشورات عكاظ، الرباط، 1988م.
- 53- بروفنسال: أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة: مُجَّد عبد الهادي شعيرة، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1951م.
- 54- جولد تسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: مُجَّد يوسف موسى وأخرون، القاهرة، ط2، 1959م.
- 55- حامد مُجَّد الخليفة: انتصارات يوسف بن تاشفين، مكتبة الصحابة، الشارقة، د.ت.
- 56- د. حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، 1956م.
- 57- د. الحسن السائح: الحضارة المغربية "البداية والاستمرار"، منشورات عكاظ، الرباط، ط2، 2004م.
- 58- د. حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م.
- 59- د. حسن قرنفل: أهل فاس المال والسياسة، دار أبي رقرق، الرباط، ط1، 2007م.
- 60- د. حسين سيد عبد الله مراد: المتصوفة في المغرب الأقصى في عصري المرابطين والموحدين، القاهرة، 1415هـ/1994م.
- 61- خوليان ربييرا: التربية الإسلامية في الأندلس، تحقيق: الطاهر أحمد مكّي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1994م.
- 62- د. سعدون عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.
- 63- دولة الادارسة في المغرب، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1408هـ/1987م.
- 64- د. عباس الجراوي: وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ، دار الثقافة، الرباط، 1976م.
- 65- عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة: قضاة فاس من دولة الأشراف الادارسة إلى دولة الشرفاء العلويين، تحقيق: عبد العزيز تيلاني، منشورات مديرية الوثائق الملكية القصر الملكي، الرباط، ط1، 2009م.

- 66- د. عبد الغني الدقر: مالك بن أنس، دار القلم، دمشق، 1430هـ/2009م.
- 67- د. عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1403هـ/1993م.
- 68- د. عفيفي محمود إبراهيم: الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب، دار المعارف، مصر، 1998م.
- 69- لوطونو: فاس قبل الحماية، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1412هـ/1992م.
- 70- محمد زيد الإيادي بك: كتاب مباحث الوقف، مطبعة علي سكر أحمد، مصر، 1330هـ/1913م.
- 71- محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة العربية، بيروت، د.ت.
- 72- د. محمد عبد الهادي شعيرة: المرابطون وتاريخهم السياسي، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، 1969م.
- 73- محمد عبد الوهاب خلاف، قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي/الخامس الهجري، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
- 74- د. محمود إسماعيل: الأدارسة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.
- رابعًا: الرسائل العلمية:
- 75- محمد بزواي: دور الدعوة في نشأة الدولة المغربية، رسالة جامعية، كلية الآداب، الرباط، 1996م.
- 76- نجوى أبو بكر محمد حسن: فقهاء المالكية في الأندلس في عصر المرابطين وأثرهم في الحياة السياسية، رسالة ماجستير، جامعة جنوب الوادي، كلية الآداب، 1424هـ/2003م.
- خامسًا: الدوريات والمجلات:
- 77- د. سعيد عبد الفتاح عاشور: الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، تصدر عن وزارة الأعلام، الكويت، المجلد الحادي عشر، العدد الأول، السنة 1980م.
- 78- عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة: بيوتات فاس في القديم والحديث، مجلة البحث العلمي، يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، العدد 22، سنة 1974م.

- 79- عبد العزيز العلوي: صناعة النسيج في المغرب في العصر الوسيط، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، العدد الثاني، 1985-1986م.
- 80- عبد العلي الوزاني: حول الدور الحضاري لمدينة فاس، مجلة دعوة الحق، تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط، العدد الثاني، السنة السادسة عشر، 1393هـم 1973م.
- 81- د.عبد القادر زمامة: فاس وصناعاتها التقليدية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، العدد الرابع والخامس، 1980-1981م.
- 82- -: وثيقة حضارية عن شبكة توزيع المياه في فاس القديمة، مجلة البحث العلمي، العدد 31، أكتوبر 1980م.
- 83- عبد الله كنون: يوسف بن تاشفين، مجلة الثقافة المغربية تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، أنفه غاندي، الرباط، الجزء الثامن، 1973م.
- 84- علي الإدريسي: الأشعرية والاستقرار المذهبي بالمغرب ضمن المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب من التعداد إلى الوحدة، تنسيق: حسن حافظي علوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1429هـ/2008م.
- 85- محمد القبلي: رمز الإحياء وقضية الحكم في المغرب الوسيط، ضمن: أبو حامد الغزالي، دراسات في فكره وعصره وتأثيره، منشورات كلية الآداب، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 9، سنة 1988م.
- 86- ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، نشر: د.حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد السادس، العدد 1، 2، سنة 1958م.